

الصور لوجيا : رابع مسائي أدب مقارن أ.د.سعد التميمي

يهدف الأدب المقارن إلى دراسة العالقات بين الآداب العالمية من حيث التأثير والتأثر وأدب الصورة، دراسة صورة الآخر ، هو واحد من أهم الموضوعات الجديدة في هذه الدراسة الذي هو حقل من حقول الأدب المقارن وقد شهد هذا العلم (الصور لوجيا ) علم دراسة الصورة ازدهارا ملحوظا بسبب المناخ السلمي الذي بدأ يظهر في أغلب الدول.

وتُسمّى بـ الصوريّة، أو علم الصورة. وتُعدُّ دراسة صورة الآخر من الدراسات الأدبيّة المقارنة التي حظيت باهتمامٍ غير قليلٍ من الباحثين في الغرب؛ إذ إن التركيز على إشكاليّة العلاقة يكاد يكون الهمّ الأساس في تأملِ الدرس المقارن، واهتمت الباحثة الفرنسيّة مدام دي ستال هذا المجال؛ إذ أقامت فترةً طويلةً في ألمانيا، في الفترة التي تصاعدت فيها مظاهر العداة المتبادل، بين الشعبين الفرنسي والألماني، وفوجئت حينذاك بسوء الفهم والصورة المشوّهة والانطباعات التي يحملها الفرنسيون عنهم، كما لمست جهلهم الكبير بالأمر المتّصلة بالثقافة والمجتمع عندهم. ومن أعلام دراسة صورة الآخر: ج. م. كاري ، وجورج أسكولي وميشال كادو ، و م. ل. ديفورنوا ، وروني ريموند وفرنسوا جوست، وقد خصّت هذه الأخيرة الشرق بعملٍ مهمّ، يُعدُّ ركيزة الأبحاث المقارنة في هذا المجال، وتنصبُّ دراستها على الشكل السردى للروايات، والحكايات، والقصص.

كما تتقصى بداية الخيال الشرقي وتطوّره في الفكر والأدب الفرنسي للقرن السابع عشر، و لهذا المجال من الدراسات الأدبيّة المقارنة دور مهمّ في رصد الصورة التي يرسمها أدب شعبٍ ما، حول شعبٍ آخر أو ثقافةٍ أخرى، فضلاً عن دوره في كشف سوء الفهم المتبادل بين الأمم والشعوب المختلفة.

وَتُعَرَّفُ دراسة الصورة بأنَّها انعكاسٌ لكثيرٍ من الأفكار والمشاعر المؤثرة في تشكيل موقفٍ أو صورةٍ ما، إزاء شعبٍ من الشعوب، وتعني كذلك الحقل الذي يشتغل بدراسة التمثيلات والطرق التي يرى فيها مجتمعٌ ما مجتمعًا آخر، ويحدِّده ويحلِّم به، ويكمن دورها في رفض الأحكام المُسبِّقة، والإلحاح على ضرورة الانفتاح على الآخر، بهدف تحقيق نظرةٍ شموليَّةٍ للإنسان

وتتقاطع دراسة صورة الآخر مع بعض العلوم الأخرى، مثل (علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والتاريخ، والأيدولوجيا..) وهناك كميَّاتٌ متنوِّعةٌ لدراسات الصورولوجيا، كأن يدرس الباحث صورة شعبٍ ما في أدب شعبٍ آخر، مثل أن يدرس صورة الصهاينة في الأدب العربي، أو أن يدرس صورة شعبٍ ما لدى أديب بعينه، مثل أن يدرس صورة الآخر الغربي في أدب عادة السَّمَّان، أو نجيب محفوظ، ويمكن أن يدرس صورة شخصيَّةٍ ما في أدب شعبٍ أو شعوبٍ أخرى، كأن يدرس صورة صلاح الدين الأيوبي في الأدب... الغربي، أو لدى أديبٍ غربيٍّ بعينه، أو جنسٍ أدبيٍّ معيَّن مثل الرواية، أو القصة، أو المسرح

وقد أثَّرت الصراعات السياسيَّة والعسكريَّة في رسم صورة الآخر وبلورتها؛ لذا فقد يصيبها التشويه، ومن ذلك -على سبيل المثال- الصورة المُشوَّهة للعرب في الآداب الأوروبيَّة في العصور الوسطى، أو صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أو كالتي رُوِّجت لها دوائر الإعلام المختلفة حولهم، فُبيل الغزو الأميركي للعراق، وتلك الصورة ليست مُسالمةً أو عفويَّةً، بل هناك إصرارٌ على تشويهها أمام الرأي العام الغربي، وذلك سعيًا لكسب الحشد والتأييد لغزو البلاد العربيَّة. ويجب أن تُدرس صورة الآخر في أدبٍ ما، في إطار السياق التاريخي للمرحلة المُستهدفة بالدراسة؛ لأنَّ تلك الدراسة تُمثِّل تتبُّع السيرورة الأدبيَّة وتحوُّل أفكار ثقافيَّةٍ ما إلى مُتخيِّلٍ، ولهذا لم يعد هذا المُتخيِّل محض

عنصر خرافي، أو صورة، أو رمز فقط، إنما هو، إلى ما سبق، مرآة تعكس تاريخ المعايير الاجتماعية-  
النفسيّة، في تصوّر الأنا والآخر

نموذج تطبيقي :

رواية الطاعون : من أضخم أعمال ألبير كامو الأدبية والفلسفية وأكثرها شهرة صدرت في فترة ما بين  
الحرب العالمية الثانية وحرب التحرير الجزائرية، أخذت من الكاتب جهد ثماني سنوات، وهي مقتبسة من  
جريدة الطاعون ل: دانيال ديفوت الذي تحدث عن مراحل وباء خيالي، تجري أحداث الرواية في مدينة  
وهران الجزائرية وضواحيها في فترة الأربعينيات من ، وهي تصور المدينة عندما " دهمها مرض الطاعون "  
الذي يمثل هجمة الشر الأسود القاتل، فيغير مالمح الحياة ومشاعر البشر وينشر الألم في كل مكان معالم  
هذا الضيف الثقيل في أركان المدينة: (آلام المرض، وآلام الفراق ) بموت الأهل والأحبة (، وآلام العجز  
وآلام اليأس).

فكيف السبيل مثال إلى تصور مدينة بغير الحمام والأشجار والحدائق، حيث خفقات الأجنحة وحفيف  
الأوراق، فكيف السبيل إلى تصور مكان محايد بكلمة واحد؟ إن السماء وحدها هي التي تنبئ بتغير  
الفصول. تحرق الشمس البيوت المفرطة الجفاف، وتحظى الجدران برماد أشهب، فلا يمكن العيش إذ ذاك  
إلا في ظل المصاريع المغلقة، وأما في الخريف، فهناك على النقيض، فيض من الوحل، وإنما تحل الأيام  
توحي اللوحة السوداوية لمدينة وهران في الرواية أن ألبير كامو كتب هذه "الجميلة في الشتاء فحسب  
الرواية في فترة تاريخية شعر فيها الكاتب بضغوطات عديدة أهمها الاضطهاد الألماني لبلاده، وقد اعتمد

فيها على الوصف المجازي، " فكل هذه الأحداث وتصرفات الأشخاص وأفكارهم وانفعالاتهم مرتبطة بما اكتسبه الكاتب في حياته من معارف، فانعكس ذلك في روايته

التي جمعت شخصيات أوروبية كثيرة وعلى رأسهم بطل الرواية الدكتور "ريو" الذي يعبر عن سلوكيات إنسانية مختلفة فهو الأقرب-بلا شك- من أفكار الكاتب وأحاسيسه، و تعود شهرة الرواية في نظر الباحثة "جرمين يري إلى كونها "رواية ذات طابع رمزي لدلالاته المتعددة من اجتماعية وسياسية وأخلاقية... وكذلك أسلوبها التوضيحي البسيط وما تحمله من أفكار بدت مناسبة لوضع الإنسان الأوروبي،الموضوعات المطروحة بالرواية موضوعات مازالت إلى يومنا هذا مصدر قلق الإنسان وفضعه ورعبه الناجم عن التطور الحضاري والعسكري الذي أصبح يهدد بالموت في كل لحظة، وبالرغم من ظروف الحرب العالمية القاسية، فإن من الدارسين من يرى أنها استطاعت أن تخرج من فوضى منتصف القرن أشدها إملاقاً وأعمقها تتمايز أطوار الرواية التي تحكي وقائع تراجيدية عاشتها مدينة عربية في قلب بالذ .في النفس فعال الجزائر، كانت الفئران تغزوها من كل جهة وتتسبب في وباء فتاك وقاتل .